القواعد القرآنية قراءة في التاريخ والآثار

إعداد

د. عمر بن عبدالله بن محمد المقبل

الأستاذ المشارك في كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية – جامعة القصيم

ح دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المقبل، عمر عبدالله محمد

القواعد القرآنية قراءة التاريخ والآثار، عمر عبدالله محمد المقبل- الرياض، ١٤٣٣هـ.

ص: ٦٤ ، سم: ١٧× ٢٤

ردمك : ٨-٠٨-٨٠٥٠-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن- القراءات والتجويد أ- العنوان

ديوي : ٩، ٢٢٨ ٢٩٨٨/ ١٤٣٣

رقم الإيداع: ٢٩٨٨/ ١٤٣٣

ردمك : ٨- ٠٨- ٨٠٥٠- ٦٠٣- ٩٧٨

دار الصميعي للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الرياض ص. ب : ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢
المركز الرئيسي : الرياض- السويدي -
شارع السويدي العام
هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥-٤٢٥١٤٥٩ ،
فاكس: ٤٢٤٥٣٤١
فرع القصيم : عنيزة – بجوار مؤسسة الشيخ
ابن عثيمين الخيرية
هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس : ٣٦٢١٧٢٨
الموزع في المنطقة الغربية والجنوبية
/ جوال ٠٥٠٩٧٧١٥٦٨
مدير التسويق ٠٥٥٥١٦٩٠٥١
daralsomaie@hotmail.com

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م

الصف والإخراج
بدار الصميعي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، ما رحم عباده بمثل ما رحمهم بنزول هذا القرآن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾، والصلاة والسلام على النبي المصطفى من ولد عدنان، وعلى آله وأصحابه، خير آل وصحب وأعوان، أما بعد:

فإن مظاهر العظمة التي تتعلق بكتاب الله تعالى لا تزال تتجدد كلما تقدم الزمن، ومضت السنون، ولا يزال يبدو للمشتغلين بهذا الكتاب العظيم من صنوف العلم، وأفانين المعرفة؛ ما يزيدهم يقيناً بأن هذا كلام الله المعجز، الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء.

وإن من دلالات هذه العظمة: أنه تظهر -مع مرور الزمن- أنواعٌ من علوم القرآن، وصورٌ من المعاني التي تهدي إليها آيات هذا الكتاب العظيم، بسبب تغيرات الزمن، وتجدد الحوادث، التي يَجِدُّ معها ما يحمل المهتمين بتدبر القرآن؛ على محاولة تلمس هداياته التي تعالج هذه النوازل والحوادث.

ومما جدّ من المصطلحات ذات الصلة بعلوم القرآن: ما اصطلح عليه بـ «**القواعد القرآنية**» التي ظهر الحديث عنها بهذا الاصطلاح مؤخراً، إلا أنها لم تحض - حسب علمي- حتى الآن بدراسة تأصيلية لهذا الموضوع.

ومما لا ريب فيه أن «ضبط الأمور المنتشرة المتعددة في القوانين المتحدة؛ هو أوعى لحفظها وأدعى لضبطها»[(١)]، ومن المهم للباحث وطالب العلم أن يكون معه «أصول كلية ترد إليها الجزئيات؛ ليتكلم بعلم وعدل ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات؛ فيتولد فساد عظيم»[(٢)].

ولأجل هذا جاءت جهود أهل العلم في تدوين وضبط قواعد العلوم، كالقواعد الفقهية، وقواعد التفسير؛ بغية ضبط جزئيات ومسائل تلك العلوم.

وما زالت بعض هذه الحقول العلمية تحتاج إلى مزيد من المؤلفات؛ لتسديد النقص، والبناء على الجهود المشكورة التي سبق بها عدد من أهل العلم المتقدمين والمعاصرين.

ومن جملة هذه الحقول حقل ما اصطلح عليه بـ «القواعد القرآنية» كما ذكرتُ آنفاً؛ لذا رغبتُ في المشاركة في هذه الورقة العلمية، والتي رأيت أن يعنون لها بـ:

القواعد القرآنية، قراءة في التاريخ والآثار

وذلك وفق الخطة الآتية:

مقدمة وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع.

---

(١) المنثور في القواعد للزركشي (١/ ٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية (١٩/ ٢٠٣).

التمهيد: وفيه تعريف بمفردات البحث.

المبحث الأول: العلاقة بين القواعد القرآنية وبين ما يتصل بها من علوم القرآن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الفرق بين القواعد القرآنية وقواعد التفسير.

المطلب الثاني: الفرق بين القواعد القرآنية والأمثال القرآنية.

المبحث الثاني: جهود العلماء في كتابة «القواعد القرآنية»، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: جهود المتقدمين في هذا العلم.

المطلب الثاني: جهود المعاصرين في هذا العلم.

المبحث الثالث: أنواع القواعد القرآنية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القواعد القرآنية العامة.

المطلب الثاني: القواعد القرآنية الخاصة.

المبحث الرابع: الآثار العلمية والعملية للكتابة في القواعد القرآنية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نماذج تطبيقية لقواعد قرآنية.

المطلب الثاني: مقترحات علمية تتعلق بالكتابة في هذا الموضوع.

الخاتمة.

الفهارس.

التمهيد

تضمن العنوان خمس كلمات، وموضع التعريف منها هو ثلاث كلمات فحسب؛ إذ هي المقصودة بالبحث ههنا، ولعدم وجود اللبس في بقية الكلمات وهذه الكلمات هي: «القواعد»، و «القرآنية»، و «الآثار».

أما «القواعد»: فهي جمع قاعدة، وأصلها اللغوي يعود إلى مادة (قعد)، وهي -كما يقول ابن فارس-: «**أَصْلٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ لَا يُخْلَفُ، وَهُوَ يُضَاهِي الْجُلُوسَ** وَإِنْ كَانَ يُتَكَلَّمُ فِي مَوَاضِعَ لَا يُتَكَلَّمُ فِيهَا بِالْجُلُوسِ، ... وَقَوَاعِدُ الْبَيْتِ: أَسَاسُهُ»[1] فكأن قواعد البيت في سفولها تخالف عواليه، ولهذا يقال: «والقاعدُ وَالْقَاعِدَة: أصل الأسِّ، وَفِي التَّنْزِيل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾، وَفِيه: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ قَالَ الزّجاج: الْقَوَاعِد: أساطين الْبناء الَّتِي تَعمِده»[2].

وعلى هذا فقاعدة الباب: الأصل الذي تنبني عليه مسائلُه، وفروعُه.

أما **تعريف القاعدة اصطلاحاً**: فهو: «**قَضِيَّة كُلية منطبقة على جزئياتها**»[3].

فقولهم: «**قضية كلية**» أي يدخل تحتها جميع أجزائها، لا يشذ من ذلك شيء.

---

(١) مقاييس اللغة: (٥/ ١٠٨).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده: (١/ ١٧٢).

(٣) تيسير التحرير (١/ ١٤)، وينظر: التعريفات (١٧١)، إجابة السائل شرح بغية الآمل، ص: (٢٥)، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ص: (١/ ٣١).

وهذا الوصف دقيق، ومطرد في حق القواعد القرآنية التي تعتمد الآية الكريمة، أو جزءً منها في إثباتها؛ لأنها تعتمد على النص القرآني، فهو كلام الله تعالى الذي: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، نعم. قد يقع تخلف لبعض الجزئيات، وهل تلحق بالقاعدة أم لا؟ بحسب نظر المتأمل في هذه القواعد.

أما بالنسبة للقواعد التي يصوغها علماء الأصول، أو علماء التفسير، فهذه الكلية قد تنتقض في بعض صورها، فهي -إذن- نسبية، وليست مطردة.

ولا يلزم -في هذه القواعد- من ذلك تعديل الصياغة ليقال بأن القواعد «**حكم أغلبي**»؛ لوجود استثناءات في بعض القواعد، كلا لأن هذه الاستثناءات لا تخرق القاعدة؛ فالعبرة بالأغلب، كما يقول الكفوي: «وتخلف الأَصْل فِي مَوضِع أَو موضِعين لَا يُنَافِي أصالته»[(١)].

وقولهم: «**منطبقة على جزئياتها**»؛ لأن هذه هي حقيقة القاعدة، فهي الأساس والأصل لما فوقها، وهي تجمع فروعاً من أبواب شَتَّى[(٢)].

وأما «القرآنية»: فنسبة إلى القرآن، وهو **لغةً**: مأخوذ من قرأ، وأصلها من قَرِيَ -كما يقول ابن فارس- الذي: «يَدُلُّ عَلَى جُمَعٍ وَاجْتِمَاعٍ، ...، وَمِنْهُ: الْقُرْآنُ، كَأَنَّهُ

---

(١) الكليات: (١٢٢)، وللشاطبي: كلام نفيس في تقرير صحة الاعتماد على القواعد وإن وجد لها استثناءات، أو تخلفت بعض جزئياتها، ينظر: الموافقات: (٢/ ٨٣)، قواعد التفسير للسبت: (١/ ٢٣).

(٢) الكليات: (٧٢٨).

سُمِّيَ بِذَلِكَ لِجَمْعِهِ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْقِصَصِ وَغَيْرِ ذَلِكَ»[(١)].

وأقرب ما قيل في تعريفه **اصطلاحاً**: «**كلام الله تعالى حقيقة، المنزل على محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته**»[(٢)].

فخرج بقولهم: «**كلام الله**» ما عداه من كلام المخلوقين.

وخرج بقولهم: «**حقيقة**» أن يكون كلاماً مجازياً، بل هو كلام حقيقي بصوت وحرف، كما دلّ على ذلك النص وإجماع السلف[(٣)].

---

(١) مقاييس اللغة: (٥/ ٧٨) بتصرف، وفي «الإتقان» للسيوطي: ٢/ ٣٣٩ (النوع السابع عشر) بسط وتوسع في اشتقاقه، ليس هذا موضع بسطه.

(٢) ينظر: «الإتقان» للسيوطي: ٢/ ٣٣٩ (النوع السابع عشر)، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (١٧).

ومما يحسن ذكر ههنا، ما علقه الشيخ محمد بن عبدالله دراز: حيث قال - بعد تحدث عن فضل القرآن على ما سبقه من الكتب السماوية -:

«لما كان القرآن بهذا المعنى الأسمى جزئيًّا حقيقيًّا كان من المتعذر تحديده بالتعارف المنطقية ذات الأجناس والفصول والخواص،...، وما ذكره العلماء من تعريفه بالأجناس والفصول - كما تعرف الحقائق- الكلية فإنما أرادوا به تقريب معناه، وتمييزه عن بعض ما عداه، مما قد يشاركه في الاسم ولو توهمًا؛ ذلك أن سائر كتب الله تعالى، والأحاديث القدسية، وبعض الأحاديث النبوية، تشارك القرآن في كونها وحيًا إلهيًّا، فربما ظن ظانٌّ أنها تشاركه في اسم القرآن أيضًا، فأرادوا بيان اختصاص الاسم به ببيان صفاته التي امتاز بها عن تلك الأنواع» ا.هـ. ينظر: «النبأ العظيم» (٤٣).

(٣) ينظر: رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت: (٢٥٦)، «الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار» لأبي الحسين العمراني الشافعي (٢/ ٥٩٥).

وخرج بقولهم: «**المنزل على محمد** ﷺ» ما نزل على موسى وعيسى، وغيرهم من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وخرج بقولهم: «**المتعبد بتلاوته**» ما لا يتعبد بتلاوته، وهو الحديث القدسي؛ فإنه وإن كان مروياً عن الله، إلا أنه ليس بقرآن يتعبد بتلاوته [(١)].

وأما استعمال هذا اللفظ (**قرآنية**)؛ فإنني لم أقف على استعمال هذه النسبة (قرآنية) في كتب المتقدمين من أئمة اللغة، وإنما وجدتها عند بعض المتأخرين، كما في تاج العروس للزبيدي (ت: ١٢٠٥)[(٢)]، وفي «كليات» أبي البقاء الكفوي (ت: ١٠٩٤)[(٣)].

وأما ورود هذه النسبة في كتب المفسرين من القرن السادس والسابع فكثير، ومن أقدم من وقفت على استعماله لها: الرازي (ت: ٦٠٦) في تفسيره «مفاتيح الغيب»[(٤)]، وأبي حيان (ت: ٧٤٥) في «البحر المحيط»[(٥)].

وأما وروده في كلام غير المفسرين من المتأخرين، فكثير جداً، وليس هذا مما يعنينا ههنا.

---

(١) ينظر: مناهل العرفان (١/ ١٥).

(٢) ينظر -على سبيل المثال- تاج العروس: (١١/ ١٦٣، ١٨/ ١٩٠).

(٣) الكليات: (١/ ٤٢١).

(٤) ينظر -على سبيل المثال- (٧/ ١١٠، ١٠/ ١٦٢، ١٧/ ٢٦٩).

(٥) ينظر على سبيل المثال: البحر المحيط في التفسير: (٦/ ٧٤).

وأما «الآثار»: فهي جمع أثر، والأثر -في وضعه اللغوي- له ثلاثة أصول، والذي يعنينا منها هو: «رَسْمُ الشَّيْءِ الْبَاقِي، ... قَالَ الْخَلِيلُ: وَالْأَثَرُ بَقِيَّةُ مَا يُرَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَمَا لَا يُرَى بَعْدَ أَنْ تَبْقَى فِيهِ عَلَقَةٌ، وأَثَرُ السَّيْفِ ضَرْبَتُهُ، وَتَقُولُ: مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي؟ وَهَذَا أَثَرُهُ!»[(١)].

فيكون المقصود بعنواننا: «قراءة في التاريخ والآثار» أي في تاريخ تطور هذا العلم القرآني، وكذا في آثار العلماء وأقوالهم وإشاراتهم التي تدل عليه.

وبناءً على ما تقدم، فيمكن الخلوص إلى تعريف **القواعد القرآنية**[(٢)]، باعتباره لقباً على ما اصطلح عليه حديثاً بهذه الجملة، فيقال في تعريفها، هي: «**أحكام كلية قطعية، مستخرجة من نصوص القرآن**».

ولتوضيح هذا التعريف يقال:

قولنا: «**أحكام كلية**» فقد سبق البحث فيها قريباً.

وقولنا: «**قطعية**» أي أن حكمها مقطوع به، فلا يتطرق إليه الظن في أصل بنيتها؛ لأنها مأخوذة من كلام الله تعالى، فهو حق متيقن؛ وإنما يتطرق الظن فيما يُدْخِلُهُ المتأمل من أفراد تلك القاعدة.

كما أن للظن مجالاً فيما يتعلق بتصنيف القواعد إلى كبرى وصغرى.

---

(١) مقاييس اللغة: (١/ ٥٣) باختصار.

(٢) نظراً لأن هذا الميدان بكرٌ؛ فلم أقف على من عرّفها باعتبار مجموع هاتين الكلمتين؛ لأن هذا العنوان لا أعلمه طُرِقَ من قبل، ولهذا، فيمكن اختيار تعريف لهذه الجملة.

قولنا: «**مستخرجة من نصوص القرآن**» وفي هذا إشارة إلى مادة هذه القواعد، فهي مأخوذة من الآيات القرآنية، وليست كقواعد المفسرين أو الأصوليين التي يجتهد العلماء في صياغتها وتحرير ألفاظها.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
التمهيد	٦
المبحث الأول: العلاقة بين القواعد القرآنية وبين ما يتصل بها من علوم القرآن، وفيه مطلبان:	١٢
المطلب الأول: الفرق بين القواعد القرآنية وقواعد التفسير	١٢
المطلب الثاني: الفرق بين القواعد القرآنية والأمثال القرآنية	١٤
المبحث الثاني: جهود العلماء في كتابة «القواعد القرآنية»، وفيه مطلبان ...	
المطلب الأول: جهود المتقدمين في هذا العلم	٢١
المطلب الثاني: جهود المعاصرين في هذا العلم	٢٤
المبحث الثالث: أنواع القواعد القرآنية، وفيه مطلبان:	٣٥
المطلب الأول: القواعد القرآنية العامة	٣٥
المطلب الثاني: القواعد القرآنية الخاصة	٣٧
المبحث الرابع: الآثار العلمية والعملية للكتابة في القواعد القرآنية، وفيه مطلبان:	٣٩
المطلب الأول: نماذج تطبيقية لقواعد قرآنية	٣٩
المطلب الثاني: مقترحات علمية تتعلق بالكتابة في هذا الموضوع	٥٥
الخاتمة	57
فهرس المصادر	٥٩
فهرس الموضوعات	٦٤